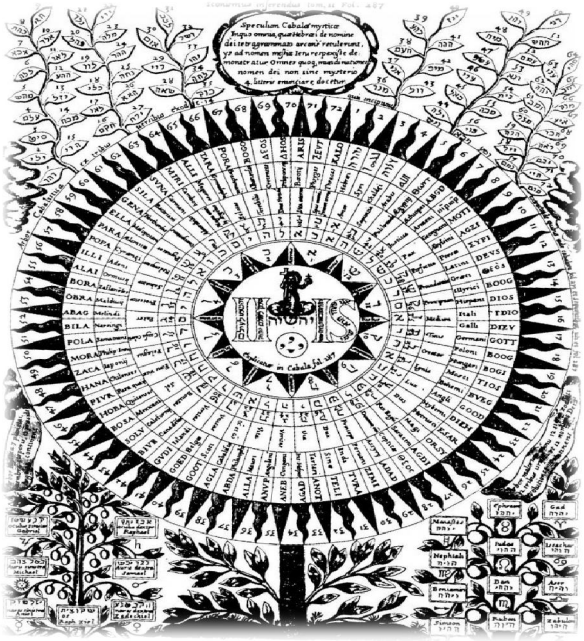

علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة

"الكتابات اليهودية والمسيحية المبكرة أنموذجا"

د.أسامة عدنان يحيى

مدرس تاريخ العراق والشرق الأدنى القديم

كلية الآداب – الجامعة المستنصرية

بغداد – العراق

usama200080@yahoo.com

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

أسامة عدنان يحيى ، علاقة السحر بالطب في الحضارات القديمة: الكتابات اليهودية والمسيحية المبكرة أنموذجا.- دورية كان التاريخية.- العدد الثاني عشر ؛ يونيو ٢٠١١. ص ٩٠ – ٩٧. (www.historicalkan.co.nr)

مقدمة

يشكل موضوع السحر والطب واحد من أهم القضايا الفكرية التي نكاد نلمسها في ثنايا دراستنا للمجتمعات القديمة ، فمنذ عصور سحيقة شكل المرض مفهومًا غريبًا عن الجماعات البشرية ، ففي الوقت الذي كانت فيه الجماعات البشرية تستطيع أن تفهم بشكل أكيد ، الجروح الناتجة من المخاطر التي يتعرض لها الإنسان من جراء صراعه مع بني جنسه أو مع الحيوانات الضارية التي تحيط به ، شكل مفهوم المرض بعدًا خاصًا في مسيرة تأملاته الفكرية ، وأن وقوع شخصًا ما في الجماعة البشرية التي عاشت في عصور ما قبل التاريخ السحيقة ، أسير المرض ثم الموت جعلت الإنسان يفكر بأن هناك أسبابًا وراء تحول الإنسان الممتلئ صحة إلى مجرد كائن ضعيف ،لا يلبث أن يسلم الروح ليتحول إلى جثة هامدة ، ولو تمكنا من تخيل أول جماعة بشرية واجهت محنة الموت لأدركنا مدى الصدمة النفسية التي تعرض لها المجتمع البشري.

ولم يكن أمام الإنسان الذي واجه الموت لأول مرة في جماعته البشرية الصغيرة في عصر موغل في القدم إلا أن ينسب ظهور المرض إلى قوى غير مرئية لم يكن يستطيع مشاهدتها سببت المرض ، قوى أقوى منه مقدرو وذكاء ، كانت تتحكم في حياته وفي نفس الوقت في مماته. ويمكن أن نستنتج أن هذه الفكرة قد مرت بمرحلتين الأولى شعور الجماعة البشرية بوجود قوى تسبب المرض ، ومن ثم بلا شك كانت هناك قوى تسبب الشفاء ، وفي مرحلة لاحقة وعندما تبلورت فكرة الأخلاق أصبحت القوى الخيرة تحاسب الإنسان على سلوكه تجاههم فتنزل به المرض أيضا ، وأصبحت التقوى والعبادة جزء لا يمكن التخلي عنه ، إلى جانب الطقوس السحرية التي يمكن ان نتكهن إنها ظهرت في المرحلة الأولى ، من أجل الحصول على الشفاء. لقد برز السحر في العلاج من أجل مساعدة الإنسان على التخلص من الآثار السلبية لاستحواذ قوى شريرة عليه والعمل على طردها. هذه الدراسة ليست بحثًا لدراسة مفهوم السحر وجوانبه الواسعة ، والمتشابكة ، والغامضة ، وبقوانينه غير الخاضعة للمنطق ، إنما ستقتصر على جانب واحد من الاعتقادات السحرية التي تظهر في ثنايا المصادر اليهودية والمسيحية المبكرة وهو السحر وعلاقته بالطب.

وقبل البدء بدراسة علاقة الطب بالسحر لابد من استعراض الأسباب التي تسبب المرض كما تظهر في الكتابات اليهودية والمسيحية المقدسة. في العهد القديم نقرأ عن اعتقاد يقول أن غضب الإله يجلب المرض وهو اعتقاد سائد لدى حضارات الشرق القديم: "أصبتكم(أي شعب إسرائيل) بالأوبئة التي أصيبت بها مصر...لكنكم لم ترجعوا إلي تائبين"[١]. وهناك روايات عديدة في العهد القديم تقدم برهانًا جيدًا عن هذا الاعتقاد ، إذ نقرأ كيف أن ابيمالك حاكم مدينة جرار(هي مدينة بين قادش وشور في ارض النقب) قد استولى على امرأة إبراهيم سارة الأمر الذي اغضب الرب لذا ابتلى نساء ابيمالك بكارثة العقم:"وكان الرب أغلق كل رحم في بيت ابيمالك بسبب سارة امرأة إبراهيم"[٢]. ونقرأ في أخرى كيف ان رأوبين قد اغتصب بلهة زوجة أبيه يعقوب ، فعاقبه الله بمرض عضال في أعضائه التناسلية دام سبعة أشهر[٣].

والرب غضب ذات مرة على مريم أخت موسى فابتلاها بمرض البرص:"انتقدت مريم وهارون موسى لزواجه من امرأة كوشية ، قالا:أ كلم الرب موسى وحده ؟ أ لم يكلمنا نحن أيضا ؟ فسمع الرب.أما موسى فقد كان أكثر حلما من جميع الناس الذين على وجه الأرض.فقال الرب حالا لموسى وهارون ومريم:أذهبوا أنتم الثلاثة إلى خيمة الاجتماع. فمضى ثلاثتهم ، فنزل الرب في عمود سحاب وحل عند باب خيمة الاجتماع ، فنادى ،هارون ومريم فتقدما وحدهما ، فقال:اسمعا كلامي أن كان بينكم نبي للرب فاني اظهر له بالرؤيا واكلمه بالحلم.أما عبدي موسى فلست أعامله هكذا ، بل هو أمين في بيتي ،لذلك اكلمه وجها لوجه ، وبوضوح من غير الغاز ، ويعاين صورة الرب.فلماذا جرئتما على انتقاد عبدي موسى ؟ واحتد غضب الرب عليهما ثم مضى عنهما.فلما ارتفعت السحابة عن خيمة الاجتماع ، إذا بمريم برصاء كالثلج ، فالتفت هارون وموسى نحو مريم وإذا هي مصابة بالبرص"[٤].

وفي رواية أخرى نقرأ كيف ضرب الرب جيش مملكة دمشق الآرامية بالعمى عندما أرادوا إلقاء القبض على النبي اليشع:"وعندما تقدم جيش أرام نحو اليشع صلى إلى الرب قائلاً: أصب هذا الجيش بالعمى. فضربهم الرب بالعمى استجابة لدعاء اليشع"[٥]. وعندما أراد داوود أن ينفذ الإحصاء لتعداد بني إسرائيل ، يغضب الرب بشدة ويسارع بتسليط الوباء على شعب إسرائيل: "إذ كان إجراء الإحصاء ممقوتا في عيني الله ، فعاقب الله الإسرائيليين فقال داود لله: لقد ارتكبت إثما عظيما حين أقدمت على هذا العمل ، فامح ألان أثم عبدك لأنني حمقت جداً. فقال الرب لجاد رائي داود: أذهب وقل لداود هذا ما يقوله الرب:ها أنا أعرض عليك ثلاثة أمور اختر واحدًا منها فأجريه عليك. فمثل جاد أمام داود وخاطبه هذا ما يقوله الرب:هيا اختر ،أما ثلاث سنين مجاعة ،أو ثلاثة أشهر يطاردك فيها أعدائك ، وسيف أعدائك يدركك ، وأما ثلاثة أيام يتسلط فيها عليك سيف الرب فيتفشى الوباء في الأرض ،إذ يجول ملاك الرب يدمر في جميع أرجاء إسرائيل. فكر مليًا في الأمر لأرد جوابا على من أرسلني. فأجاب داود جادا:إنني واقع في كرب عظيم ،ولكن خير لي ان استسلم لقبضة الرب ،لأنه واسع الرحمة من ان أقع تحت رحمة إنسان ، فأرسل الرب وباء تفشى في ارض إسرائيل مات فيه سبعين ألف رجل"[٦].

وتتحدث وثائق البحر الميت عن الأمراض وتعدها عقابا من الله عن خطايا البشر ، بل تهدف إلى ان يتعظ البشر من خطاياهم: "لقد عاقبتنا كما يعاقب الأب أبنه ، وجعلتنا نزداد حكمة خلال أجيالنا[بواسطة] الأمراض المهلكة والمجاعات والعطش والأوبئة والسيف..."[٧]. ويتحدث نص كيف ان الله ابتلى الملك البابلي بقرحة خبيثة[٨]. وفي التلمود نقرأ كيف ان الله هو أهم مسبب للمرض ، فالله يمثل أهم عنصر مسبب للمرض ، ففي رواية نقرأ ان الله أصاب الفرعون المصري بالجذام ، وكان المرض شديد الوطأة ، فعانى الملك من الآم مبرحة لا توصف[٩]. ونقرأ في رواية أخرى أن الرب غضب على المصريين فابتلاهم بالمرض لرفض الفرعون المصري أن يخرج بني إسرائيل من مصر إلى أرض كنعان لذا: "غدت أجسام المصريين عليلة م ؤذية المنظر ومليئة بالقروح وأصابت لحومهم الالتهابات"[١٠]. ويفسر التلمود السبب الذي من ورائه ابتلى الله المصريين بالقروح: "لأنهم كانوا يجبرون الإسرائيليين على تنظيف دورهم وأفنيتهم ، مما جعل دمائهم ملتاثة تنقط بالقروح"[١١].

ليس فقط العمل الشرير هو الذي يسبب المرض بل ان التلمود يقدم لنا صورة غير مألوفة عن مسببات المرض ألا وهي الامتناع عن القيام بالعمل الصالح أو تأخيره ، ونقرأ عن قصة الرابي ناحوم ،أنه لما كبر في السن أمسى ضريرًا ، وبترت يداه ورجلاه وكان جذعه مبتلى بالقروح الأليمة وعندما سأله تلاميذه عن سبب هذه البلوى رغم أنه رجل صالح ، لم يحاول أن يعلل الأمر بكبر السن أو بقضاء الله بل قال: "ترون هذا ما استجررته على نفسي ولم اظلم. ففي بعض الأيام كنت مرتحلا صوب بيت نسيبي ، أبي امرأتي ، ومعي ثلاثون جحشًا محملاً بالمؤن والخيرات ، وصاح بي رجل من قارعة الطريق: يا رابي أغثني! فقلت له تريث ريثما انزل حمولة الجحاش. فلما تم الأمر وفرغت من تنزيل الأحمال عن دوابي ، ألفيت لشقوتي وبلواي الرجل سقط وهلك لشدة الجوع والإعياء. فارتميت على جثته ورحت انتحب بمرارة وقلت:العينان اللتان لم ترقا لحالك ليكن مصيرهما العمى ، واليدان اللتان تلكأتا عن معونتك ليكن مصيرهما البتر ،مع الرجلين اللتين أحجمتا عن إغاثتك. وفوق ذلك لم اكتف حتى دعوت بان يصيب بدني بالقروح الأليمة" ،والمرض كما يتحدث هذا الرابي لم يكن مجرد عقاب بل وسيلة لغفران الذنوب:"لأنني من خلالها أرجو ان يُغفر ذنبي ويُمحى"[١٢].

ويتضح من التلمود أن الأمراض تقرر سلفا من الله في رأس السنة اليهودية كما يقول الرابي أمنون:"في رأس السنة يكتب ، وفي يوم الغفران يقرر ، أجل كل أوامرك تسجل من يحيا ومن يموت.أسماء من يلاقون حتفهم بالنار ، أو بالغرق ، أو بالسيف ، أو بالجوع ، أو العطش ، أو بالطاعون ، كلها مدونة لديك"[١٣]. وفي حالة نفهم أن الله يسلط المرض عن طريق ملائكته:"مهد سبلا لغضبه ، أرسلها مع ملائكة الشر ، فلم يمنع الموت عن نفوسهم بل أسلم حياتهم إلى الوباء"[١٤].

اعتقد العبريون كغيرهم من المجتمعات القديمة بالعفاريت وقوى الشر المختلفة ، إذ يزودنا العهد القديم بأدلة عن دور الشيطان في الأمراض ، في التفسيرات اللاهوتية هي أرواح شريرة يسيطر عليها إبليس تسعى لتجربة الناس بالخطيئة ، ولم يخلقها الشيطان لان الله هو خالق الجميع ، ولكنها ملائكة ساقطة انضمت للشيطان في تمرده على الله. وفي حالتها هذه الفاسدة المنحطة ، تستطيع أن تجعل شخصا ما أبكم أو أصم أو أعمى أو مجنونا[١٥]. فضلاً عن ذلك اعتقد العبريون بعفاريت مسئولة عن الأمراض أمثال مرض الطاعون الذي يفتك بالناس وقت الظهيرة[١٦]. ونحن نقرأ كيف يسبب الشيطان المرض للإنسان : "انصرف الشيطان من حضرة الرب ، وابتلى أيوب بقروح انتشرت في بدنه كله من قمة رأسه إلى أخمص قدميه"[١٧]. وربما اعتقد اليهود الذين عاشوا عند البحر الميت أن الروح الشريرة هي أيضاً التي تسبب المرض ، إذ يرد في وثيقة دمشق:"(هذا هو) القانون فيما يختص بجلدة الرأس واللحية (المصابة بمرض)... وعلى الكاهن رؤية ان الروح قد دخلت الرأس..."[١٨].

وفي العهد الجديد والأناجيل الابوكريفا يظهر المرض على أنه من فعل الشيطان ففي كثير من الحالات نقرأ عن دور الأرواح النجسة أو الشيطان في أسباب المرض[١٩] ، وأن مغادرة الشيطان جسد المريض يؤدي إلى استرداد الشخص لصحته ، ونحن نقرأ عن حالة تشير إلى ذلك صراحة: "جاءه(أي يسوع) بعضهم بأخرس يسكنه شيطان فلما طرد الشيطان تكلم الأخرس"[٢٠]. وهذه الشياطين كما هو الحال في وادي الرافدين تسكن الأماكن القاحلة ، وكانت أعدادها كثيرة ، وفي

حالات قد يحل أكثر من شيطان في جسد المريض ، ففي حالة نقرأ عن سبع شياطين دخلت جسد الإنسان[٢١]. وكانت الشياطين لها أسماء تدل عليها ففي رواية ترد في الأناجيل يدعى الشياطين بلجيون وهي كلمة تعني اكبر وحدة في الجيش الروماني ، وهي تتكون من ٣٠٠٠-٦٠٠٠ جندي ، مما يوضح أن الرجل لم يكن يسكنه شيطان واحد بل شياطين كثيرة[٢٢].

لعب السحر دوره بالمرض كما نقرأ في مصادرنا ، ففي العهد القديم نقرأ عن أثر السحر في صحة الإنسان ، ففي نص يشير إلى أن موسى نفذ طقسا سحريا جلب به المرض على المصريين: "أخذ موسى وهارون من رماد الأتون ووقفا أمام فرعون ، وذراه موسى إلى السماء فصار قروحًا وبثورًا في الناس والبهائم. ولم يقدر السحرة أن يقفوا أمام موسى بسبب القروح التي كانت في السحرة وفي جميع المصريين"[٢٣]. وتشير المادة المتوفرة في المصادر المسيحية أن للسحر دورًا فاعلاً في أسباب المرض ، وتشير رواية أن السيد المسيح بكلمة منه تمكن من أن يصيب أناس بالعمى: "دعا يوسف الطفل(يسوع) إليه على انفراد ، وعاتبه قائلاً: لماذا تفعل مثل هذه الأشياء؟(وكان يسوع قد دعا مرة على طفل بالموت فمات فوراً)، أن هؤلاء الناس يتألمون ، ويكرهوننا ، ويقمعوننا ،غير أن يسوع أجابه: أنا اعرف أن هذه الكلمات ليست كلامك ، ومع ذلك إنني من أجلك سوف أكون صامتاً ، ولكن هؤلاء الناس سوف يتحملون عقوبتهم ، وعلى الفور أصبح الذين اتهموه عميانا"[٢٤].

وتتحدث النصوص المسيحية عن قوة السحر في المرض ، ففي حالات كان يكفي ان يقوم الساحر بلمس عضو شخص ما حتى يصاب بآلام ، وهناك رواية تقول أن السيد المسيح أمسك أحد تلاميذه من لحيته الأمر الذي سبب له آلاما شديدة: "امسك بلحيتي وشدها ، وقال لي: "لا تكن يا يوحنا غير مؤمن ، ولا تكن فضوليا ، فقلت له:م ا الذي صنعته أنا يا مولاي؟ إنني أخبركم يا إخواني ، إنني عانيت من ألم عظيم لمدة ثلاثين يوماً ، في المكان الذي أمسك فيه بلحيتي"[٢٥]. وفي التلمود نقرأ عن السحر وسببه في الأمراض ، فالرجل المتزوج من أكثر من واحدة قد يؤدي أن تقوم: "الزوجة القديمة الأكبر سنا تعمل السحر لمنع الزوجة الشابة من إنجاب الأولاد"[٢٦]. لقد كانت مسببات المرض كما ترد في المصادر اليهودية والمسيحية المبكرة تتمثل بقوى فوق طبيعية ، لذا لم يكن أمام هؤلاء إلا أن يمارسوا مجموعة من الطقوس الدينية والسحرية الهدف منها التخلص من آثار هذه القوى المتمثلة بالمرض.

يشير العهد القديم إلى أن الصلاة تمثل إحدى أهم وسائل الشفاء ، فهي بمثابة تواصل سحري بين المريض المعذب والله ، فهي تمثل تكفيرا ناجعا ضد الذنوب المقترفة المسببة للمرض. فعندما مرض ابيمالك بسبب أخذه سارة من زوجها إبراهيم وعاقبه الرب بكارثة العقم على ذلك ، لم يكن أمامه إلا إعادة سارة وتعويض إبراهيم بالأموال: "فصلى إبراهيم إلى الله ، فشفى الله ابيمالك وامرأته وجواريه فولدن"[٢٧]. وحزقيا ملك دويلة يهوذا يتعرض لمرض ويشرف على الموت لذا يتجه إلى الرب يهوه داعيا إياه لتخليصه من مرضه: "فأشاح بوجهه نحو الحائط وصلى قائلاً:آه يا رب اذكر كيف سلكت أمامك بأمانة وإخلاص قلب وصنعت ما يرضيك. وبكى حزقيا بكاء مرا ،وقبل ان يبلغ اشعيا فناء القصر الأوسط خاطبه الرب قائلاً: ارجع وقل لحزقيا رئيس شعبي ، وهذا ما يقوله الرب اله داوود ، قد سمعت صلاتك ، ورأيت دموعك وها أنا أبرئك..."[٢٨].

ونعرف أن طائفة البحر الميت كانوا يداوون مرضاهم بالصلاة والأدعية[٢٩]. وفي حالة الأوبئة كانت هناك طقوس تكفيرية تقام من أجل التخلص منها ، أو بتعبير أدق إيقاف غضب الرب ، ونحن نقرأ عن إحدى هذه الطقوس في نص: "تذمر جميع بني إسرائيل على موسى وهارون قائلين: لقد قتلتما شعب الرب ، فلما اجتمعت الجماعة على موسى وهارون مضيا إلى خيمة الاجتماع ، وإذا بالسحابة قد غطتها ومجد الرب قد تراءى. فاقبل موسى وهارون إلى أمام خيمة الاجتماع. فقال الرب لموسى: أخرجا من بين هذه الجماعة لأنني سأفنيهم في لحظة. فخرًا على وجهيهما ، ثم قال موسى لهارون: خذ المجمرة وضع فيها نارًا من على المذبح ، وأيضًا بخوراً ، وأسرع إلى الجماعة لتكفر عنهم ،لأن الغضب المحتدم قد صدر من الرب وتفشى فيهم الوباء. فنفذ هارون أمر موسى ، وأسرع إلى وسط الجماعة ، وإذا بالوباء قد ابتدأ يتفشى فيهم ، فوضع البخور وكفر عن الشعب. ووقف هارون بين الموتى والأحياء فتوقف الوباء"[٣٠].

لم تكن الصلاة أو طقوس التكفير هي الوحيدة التي نقرأ عنها كسبب في العلاج فهناك طقوس السحر ، ولكن المعلومات المتوفرة في العهد القديم حول الطقوس السحرية قليلة ، وهناك إشارة إلى طقس ربما كان يزاول في فلسطين القديمة ، وهو الذي يرد على لسان القائد الآرامي نعمان ، وهو أن يقوم كاهن أو ساحر بالدعاء باسم الإله ويمرر يده فوق موضع المرض ، فيتم الشفاء[٣١]. وهناك رواية ترد في سفر التكوين الخاص بجماعة البحر الميت نقرأ فيها كيف يأخذ فرعون مصر سارة زوجة إبراهيم بالقوة ويضمها إلى حريمه وهنا يطلب إبراهيم من الله المساعدة لذا في تلك الليلة أرسل الرب الأعلى روحا أصابت الفرعون المصري بالبلاء ، وروحا شريرة لجميع أهل بيته ، فلم يستطع أن يقترب من سارة رغم أنه بقي معها مدة سنتين إلا انه لم يتصل بها ، عندها طلب من إبراهيم ان يصلي لأجله وأن يضع يديه على جسمه ، ولكن قبل كل شيء على الفرعون أن يكفر عن ذنبه الذي ارتكبه وهو أخذ سارة زوجة إبراهيم وضمها إلى حريمه ، لذ قبل أن يقوم إبراهيم بأي إجراء أعاد الفرعون زوجة إبراهيم إلى زوجها وهنا يقوم إبراهيم كما يقول هو:"صليت [من اجله]...ووضعت يدي على[رأسه]، فرحلت البلوى منه وطرد[الروح] الشريرة [منه] وعادت صحته"[٣٢].

إن أفضل الأدلة حول ممارسة الطب السحري في فلسطين من العهد الجديد ، وأناجيل الابوكريفا ، وإذا ما أخذنا برواياته على إنها تمثل فكرة الطب الشعبي الذي كان سائدًا في فلسطين في العصر الروماني ، فإننا أمام سيل من الروايات التي تبرهن عن جدارة عن تغلغل المعتقدات الشعبية في الكتاب المقدس للديانة المسيحية ، فبلا شك كان الطبيب الساحر ذا تأثير كبير في المجتمع الفلسطيني القديم ، وهناك إشارة ذات بعد خاص تقول أن يسوع كان يشفي الأمراض كافة دلالة على ازدهار هذا النوع من الطب: "كان يسوع ينتقل في منطقة الجليل كلها ، يعلم في مجامع اليهود ، وينادي ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وعلة في الشعب. فذاع صيته في سوريا كلها ، فحمل إليه الناس مرضاهم المعانين من الأمراض ، والأوجاع على اختلافها والمسكونين بالشياطين والمصروعين والمشلولين فشفاهم جميعا"[٣٣].

ويبدو أن الطبيب الساحر كان يتميز بقوة خاص تتسرب من جسده إلى جسد المريض تعمل على شفائه ، ففي نص نقرأ أن امرأة مصابة بنزيف دموي تدعى بيرنايس(في اللاتينية ورد اسمها بصيغة فيرونيكا) لمست ثياب يسوع فشفيت ، وكان يسوع قد شعر في بقوة التي خرجت منه أثناء شفاء المرأة[٣٤]. بل في حالات أن وجوده كفيل بطرد الشيطان من جسد الضحية حتى وأن لم يقم بأي طقس سحري ، ففي رواية تقول أن: "هناك امرأة قد هاجمها عندما خرجت أثناء الليل ، من أجل الماء ، ولم يكن بإمكانها لا أن تحمل الثياب ، ولا أن تعيش في بيت ، وغالباً عندما ربطت بسلاسل وسيور من الجلد ،حيث تقف على مفترق الطرق وفي المقابر ، وكانت ترمي الحجارة على الناس ، وأنزلت كثيرًا من المصائب على رفاقها ، وعندما رأتها السيدة مريم ، أشفقت عليها ، وعلى الفور غادرها الشيطان ، وهرب بعيداً على شكل رجل شاب قائلاً: ويل لي يا مريم ومن ابنك وهكذا شفيت من شقائها"[٣٥]. وربما تشير الرواية في أقل تقدير عن وجود نساء مارسن الطب السحري أيضاً.

ومن خلال دراسة نصوص العهد الجديد يتضح أن طرق العلاج السحري التي مورست كانت محدودة ، ربما كانت هناك طرق أكثر غير أن كتبة العهد الجديد اقتصروا على بعضها لاسيما طرق العلاج بسحر الكلمة للبرهنة على معجزات السيد المسيح ، ولكن من غير شك كانت هناك ممارسات سحرية مختلفة لم تصلنا. رغم ان اللاهوتيين يؤكدون ان يسوع لم يكن في حاجة إلى إجراء طقوس معينة لطرد الشياطين ، بل كانت كلمة منه كافية لطرد الشياطين[٣٦] ، لكن الدراسة الفاحصة لنصوص الأناجيل سواء القانونية وغير القانونية(ابوكريفا) ، تكشف أن طقوسا عديدة قد مارسها السيد المسيح من أجل الشفاء ، تم تحويرها من أجل أن تلاءم التوجهات الجديدة للديانة المسيحية الناشئة ، منها البرهنة على معجزات السيد المسيح ، لكنها بلا شك رغم التحوير نستطيع أن نلمس من وراءها طقوسًا عديدة مورست في كل أنحاء الشرق القديم ، ولعل أبرزها مبدأ البديل الحيواني ، الذي تم حذف الطقوس المعقدة التي نقرأ عنها في ممارسات الشرق الأدنى ليتحول العلاج بهذه الطريقة إلى مجرد قوة الكلمة الملقاة على الشياطين لترغمهم على مغادرة جسد الضحية إلى البديل الحيواني.أو عندما يعمد السيد المسيح كما سنرى إلى لمس الجزء المصاب فانه يكشف عن طقس قديم مورس ربما في فلسطين القديمة تم إعادة صياغته ليتلاءم مع الفكر المسيحي.

ويمكن أن نلخص الطرق المتبعة بالعلاج السحري في النقاط التالية:

١.طريقة اللمس:

فيها يعمد الطبيب الساحر إلى لمس المنطقة المصابة ،أو لمس المريض بشكل عام ليتمكن من طرد المرض وقد أشار مرقس إلى هذه الصورة عن يسوع عندما قال: "فصار كل من به مرض يسارع إليه ليلمسه"[٣٧]. من الأمثلة عن هذا النوع من العلاج نقرأ رواية الأبرص من كفر ناحوم الذي نادي السيد المسيح طالبا منه أن يشفيه ، الذي بادر إلى لمسه فشفي الرجل[٣٨]. وكذلك عندما دخل السيد المسيح إلى بيت بطرس أحد تلاميذه فوجد بحماته طريحة الفراش تعاني من الحمى ، فلمس يدها ،فذهبت عنها الحمى[٣٩]. ونقرأ في رواية ثالثة كيف يتجه أعميان إلى يسوع من أجل أن يشفيهما ، فلمس الأخير أعينهما ، فأبصرا[٤٠].وعندما غادر يسوع نواحي صور ، وعاد إلى بحيرة الجليل ،احضروا إليه أصم معقود اللسان(اخرس) ، وتوسلوا إليه أن يضع يده عليه. فانفرد به بعيدًا عن الجمع ، ووضع إصبعيه في أذني الرجل ، ثم تفل ولمس لسانه ، ورفع نظره إلى السماء ، وقال له: افتح ، أي انفتح وفي الحال انفتحت أذناه وانحلت عقدة لسانه ، وتكلم بطلاقة[٤١]. وعندما كان في قرية بيت صيدا ، احضر إليه أعمى وتوسلوا إليه ان يضع يده عليه.فامسك يسوع بيد الأعمى واقتاده إلى خارج القرية ،وبعد أن تفل في عينيه ، وضع يده عليه وسأله: هل ترى شيئًا فتطلع ، وقال:أرى أناسا كأنهم أشجار يمشون فوضع يده ثانية على عينيه فعاد صحيحا وشفي من مرضه[٤٢].

ونقرأ في رواية أن امرأة كانت قد سكنتها روح شريرة وأمرضتها طيلة ثماني عشر سنة ، وكانت حدباء لا تقدر أن تنتصب. فلما رآها يسوع ، دعاها وقال لها: يا امرأة أنت في حل من دائك! ووضع يده عليها فعادت مستقيمة في الحال[٤٣]. وفي قصة أخرى تنسب إلى السيد المسيح عندما كان طفلاً تعكس بشكل مؤكد طريقة العمل السحري بوساطة اللمس فقد كان هناك رجلا ينجر خشبا ، فوقع الفأس وشق قدمه ، وقد اخذ الر جل يفقد الكثير من الدم حتى كاد يموت. وسرعان ما ركض إليه الطفل يسوع ، وشق طريقه بين الحشد المتجمع حول الرجل ، وما أن لمس الرجل المجروحة ، حتى شفيت على الفور[٤٤]. وفي رواية أنه ذات يوم ذهب الرسولين بطرس ويوحنا إلى الهيكل لصلاة الساعة الثالثة بعد الظهر. وعند باب الهيكل الذي يدعى الباب الجميل ، كان يجلس رجل كسيح منذ ولادته ، لذا يقوم بطرس بمعالجته ، فهو ينطق ويأمره بالمشي قائلاً: باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ! ثم امسكه بيده اليمنى وأقامه ، فدبت القوة حالا في رجليه وكعبيه ، وبدأ يمشي[٤٥]. وفي حالات أخرى لا يقوم الطبيب الساحر بلمس المريض بل يكتفي الأخير بان يقوم بلمس ثياب ذلك الطبيب ليشفى كما يتضح من رواية المرأة المصابة بنزف دموي لأكثر من اثنتي عشر سنة ، وقد تقدمت إلى يسوع من الخلف ولمست طرف ردائه ، لأنها كما تقول الرواية على لسانها: "يكفي أن المس ولو ثيابه لأشفى". وبالفعل ما أن لمست ثيابه حتى شفيت من مرضها.[٤٦]

٢.سحر الكلمة:

في هذا النوع من العلاج يكتفي الطبيب الساحر بتوجيه أمر بطرد المرض فيُنفذ الأمر حتى وان كانت هناك مسافة بعيدة بين المريض وطبيبه الساحر ، ويقول نص مسيحي ورد على لسان الشيطان المسبب للمرض أن كل ما قام به من عمل موجه ضد البشر قضى عليه السيد المسيح بكلمة منه: "كل الذين أنا جعلتهم عاجزين أو عميان أو عرجان أو مجذومين ، أو مثل ذلك شفاهم بكلمة واحدة فقط"[٤٧]. ويمكن أن نعطي عدد من الأمثلة التي وردت في المصادر المسيحية عن هذه الطريقة في العلاج ، فعندما دخل السيد المسيح مدينة كفر ناحوم جاءه قائد مئة يتوسل إليه قائلاً: يا سيد أن خادمي مشلول طريح الفراش في البيت يعاني أشد الآلام. فقال له يسوع: سأذهب واشفيه! ولكن قائد المائة أجابه: يا سيد أنا لا استحق ان تدخل تحت سقف بيتي. إنما قل كلمة ، فيشفى خادمي ، فلم يكن من يسوع إلا أن قال:اذهب ، وليكن ما لك ما أمنت بان يكون! وفي تلك الساعة شفي خادمه[٤٨]. وعندما وصل يسوع إلى قانا في الجليل ، جاءه رجل وطلب منه أن يشفي ابنه وكان يسكن في كفر ناحوم ، فما من يسوع إلا أن نطق وقال للرجل: ابنك حي ، فشفي ابنه فورا[٤٩]. وأحيانًا ينطق

الطبيب الساحر بأمر الشفاء مباشرة أمام المريض مما يؤدي إلى الشفاء الفوري كما نقرأ في رواية ان مشلول أتى إلى يسوع طالبا الشفاء ، فلم يكن من الأخير إلا أن نطق قائلاً: قم احمل فراشك ، واذهب إلى بيتك! فقام الرجل فوراً وذهب إلى بيته[٥٠]. ونقرأ عن حالة مشابهة فقد جاء رجل يده يابسة (ربما مشلولة) فقال يسوع للرجل: مد يدك! فمدها فإذا هي صحيحة[٥١]. وفي أريحا كان يسوع مع تلاميذه يمشي ، فطلب منه رجلاً يدعى بارتيماوس ابن تيماوس وكان أعمى أن يشفيه ، وبكلمة منه أبصر الرجل[٥٢]. وعندما جاء إلى يسوع المسيح رجل مجذوم طلب منه أن يشفيه وبكلمة من المسيح زال الجذام منه[٥٣]. وهناك مخطوط مسيحي يشير إلى مرض ابنة الرسول شمعون الصفا(بطرس)، التي كانت مشلولة ، وبكلمة منه قام بشفائها: "نظر(بطرس) إلى ابنته وقال لها: انهضي من مكانك من دون مساعدة أحد باستثناء يسوع ، وسيري بشكل طبيعي أمام هؤلاء الحضور وتعالي إلي ، فنهضت وجاءت إليه"[٥٤].

وهناك رواية أخرى لهذه الحادثة تقول أن بترونيللا ابنة القديس بطرس ، كانت فتاة جميلة المظهر لذلك دعا والدها أن تنزل بها الحمى ، التي كانت شديدة الوقع عليها. ولما جلس بطرس ذات يوم إلى الطعام مع تلاميذه تحدث معه تيتوس: "يا معلم ، لماذا تشفي المرضى جميعا وتترك بترونيللا فريسة المرض ؟ أجاب بطرس:لان ذلك سيكون ذا نفع لها. ولكي لا تتوهم بان شفاءها غير ممكن سأقول لكم بان بترونيللا ستتعافى قريبا لتخدمنا على الطاولة". وفي الحال نهضت بترونيللا بكامل صحتها ، وراحت تعمل على خدمتهم على الطاولة. ولأنها أنجزت كل ما عليها من مهمات تحدث معها القديس بطرس: بترونيللا اذهبي ألان إلى سريرك. وهكذا استلقت في فراشها وراحت تعاني من الحمى[٥٥]. وقد يعمد الطبيب الساحر في بعض الحالات على زجر الشيطان بقوة لإخافته وإرغامه على ترك جسد المريض ففي حالة نقرأ عن رجل تقدم من السيد المسيح طالبا منه شفاء ابنه لأنه مصاب بالصرع وهو يتعذب عذابا شديدا ، وكثيرًا ما يسقط في النار أو في الماء. فأجابه يسوع بان يحضره إليه. فلما جلبوه إليه زجر الشيطان وقال له: أيها الروح الأخرس الأصم ، إني أمرك ، فاخرج منه ولا تعد تدخل بعد ، فخرج فورًا من الصبي وشفي تماما[٥٦]. وعندما كان يسوع في كفر يدرس في المجمع اليهودي فصرخ إليه رجل يسكنه روح شريرة يبدو انه قد سبب له اضطرابات عقلية فصرخ قائلاً: ما شأنك بنا يا يسوع الناصري؟ أجئت لتهلكنا. فقام يسوع بزجر الروح الشريرة ، التي ارتعبت وخرجت من جسد المريض[٥٧]. وتشير رواية أخرى إلى ان حماة سمعان(بطرس) كانت مريضة فدخل يسوع إليها ووقف بجانب السرير وزجر الحمى فذهبت عنها[٥٨].

٣.طريقة البديل الحيواني:

وهي طريقة شائعة في الطب السحري ، نعرفها أيضًا من مصادرنا في وادي الرافدين واسيا الصغرى ومصر ، وتقدم الأناجيل أدلة على ممارستها في فلسطين ، وتظهر الأدلة إنها مورست عن طريق نقل الشيطان المسبب بالمرض إلى كائن أخر حيوان عادة من اجل تخليص الإنسان من المرض وهناك رواية معروفة جدا في أدبيات العهد الجديد تسلط الضوء على هذه الطريقة تقول انه لما وصل يسوع إلى بلدة دعيت باسم الجدريين أو الجراسيين تقع مقابل الجليل لاقاه من بين القبور إنسان يسكنه روح شريرة ،وكان لا يلبس ثوبا ، ولا يسكن بيتا ،ويقيم في القبور. ولم يكن أحد يقدر أن يقيده ولو بالسلاسل ، فانه كثيرا ما ربط بالقيود والسلاسل ، فكان يقطع السلاسل ويحطم القيود ، ولم يقدر أحد أن يخضعه وكثيرًا ما يجرح جسمه بالحجارة. ولكنه لما رأى يسوع من بعيد ركض وسجد له وصرخ بأعلى صوته ، ما شأنك بي يا يسوع ابن الله العلي ؟ استحلفك بالله إلا تعذبني! لكن يسوع أمر الروح الشريرة بان تخرج من جسد الإنسان وكان يضنها شيطان واحد فلما سأله يسوع عن اسمه: أجاب اسمه لجيون لأنه جيش كبيرًا من الشياطين قد دخلوا فيه.غير إنهم توسلوا إليه إلا يطردهم إلى خارج المنطقة. وكان هناك قطيع كبير من الخنازير يرعى عند الجبل ، فتوسل الأرواح الشريرة إلى يسوع قائلين: أرسلنا إلى الخنازير فندخل فيها. فإذن لها بذلك ، فخرجت الأرواح الشريرة ودخلت في الخنازير ، فاندفع قطيع الخنازير من على حافة الجبل إلى البحيرة ، فغرق فيها[٥٩].

٤.إرسال شيء من المريض إلى المعبد:

وهي طريقة ترتبط بمبدأ السحر الاتصالي ، إذ يتم إرسال شيء يخص الشخص المصاب مثل الشعر إذا كان مصابا بوجع في الرأس إلى المعبد ، والشفاء بهذه الطريقة يتضمن مبدأ ان الشعر يمثل جزء من الشخص المصاب فينتقل العلاج سحريا إليه. وهناك نص مسيحي يتحدث عن هذه الحالة يقول إذا ما عانى إنسان من وجع رأسه كان يتدبر قص شعر رأسه وإرساله إلى مغارة كنيسة اكتشاف الصليب ، وكان يوجد خلف مكان اكتشاف الصليب المقدس حفرة عميقة من الصخر ، وهي مليئة بشعور رؤوس الناس وشعور لحاهم[٦٠].

كان العبريون القدماء يعتقدون بوجود عدد من العقاقير السحرية التي عن طريقها يمكن الحصول على الشفاء ، وهي لا تقل أهمية عن الطقوس السحرية ، فهناك النباتات السحرية بعضها يعطى للنساء العاقرات ، فقد عد العبريون ان نبات اللفاح يعمل على شفاء النساء من عقمهن[٦١]. فضلاً عن ذلك هناك إيمان بفائدة بع الرموز السحرية في العلاج مثل أنواع من الحجارة لها القدرة على شفاء المرض أو الماء وغيرها من القوى.فنعرف مثلا انه بني في القدس كنيسة تحت الأرض كرست على اسم الإمبراطورة هيلانة وكان الزوار ينزلون ست عشرة درجة حتى يصلوا إلى المكان ، والطريف أن سكان القدس من مختلف الديانات كانوا يزورون هذا المكان حيث كانوا يقومون بقطع شظايا من الصخور من أجل التداوي ، وإنهم يعلنون أنه إذا كان هناك إنسان مصاب بالحمى من الممكن شفائه على الفور ، إذا شرب بعض الخمر والماء ، موضوع فيها قطعة من هذه الصخور[٦٢].

ويشير التلمود عن قدرة الأحجار السحرية على الشفاء إذ نقرأ عن حجر كان في حوزة إبراهيم وعلقه في عنقه شفى بوساطته كل الأمراض المعروفة ، وقد وصل هذا الحجر إلى احد الحاخامات وصار في قدرته عن طريق الحجر شفاء العلل وإحياء الموتى[٦٣]. ولدى العبريين اعتقاد بقوة الماء الشفائية ، وتكشف قصة نعمان قائد جيش ملك دمشق الآرامية اعتقاد سكان فلسطين بذلك ، فالقائد الآرامي كان مصابا بالمرض ،فلما استشار اليشع وهو احد الأنبياء اليهود نصحه بالاستحمام في نهر الأردن وبالفعل نفذ اليشع ذلك الطقس إذ: "نزل نعمان إلى نهر الأردن وغطس فيه سبع مرات ، كما أمر رجل الله ،فرجع لحمه كلحم صبي صغير وطهر من برصه". ويتضح من الرواية لم تكن كل الأنهار ذات قابلية شفائية بل كان نهر الأردن بالذات يحتوي على

هذه الخصيصة ، فالقائد الآرامي نعمان وقبل ان ينفذ الطقس ،أعلن امتعاضه من نصيحة اليشع ،على أساس أن أنهار دمشق أفضل من نهر الأردن: "أليس ابانة وفرفر نهرا دمشق أفضل من جميع مياه إسرائيل ؟ أ لم يكن في إمكاني الاغتسال فيها فاطهر ؟"[٦٤].

وفي أورشليم كان قرب احد أبواب المدينة ويدعى باب الغنم بركة اسمها بيت حسدا ، يرقد إلى جانبها جمع كبير من المرضى سواء عميان وعرج ومشلولين ،ينتظرون ان تتحرك مياه البركة ،لان ملاكا كان يأتي من حين لأخر إلى البركة ويحرك ماءها ،فكان الذي ينزل أولا يشفى مهما كان مرضه[٦٥]. وتؤكد الأناجيل عن دور المياه المقدسة في الشفاء ،وان جعلت السبب تدخل السيد المسيح بذلك ،فهناك قصة تتحدث عن الماء الذي غُسل فيه السيد المسيح عندما كان طفلا قد شفى فتاة مجذومة:"أخذت امرأة ماءً معطراً لتغسل المولى يسوع ،وبعدما غسلته ،أخذت الماء الذي استخدمته ،وصبت بعضه على فتاة كانت تعيش هناك ،وكان جسدها ابيض من الجذام وغسلتها به ،وما ان تم فعل هذا حتى شفيت الفتاة من الجذام"[٦٦].

وفي أخرى نقرأ أن مريم عندما دخلت بيت لحم مع ولدها ،شاهدت هناك كثيرًا من الأمراض الشديدة قد أصابت أعين الأطفال ، الذين كانوا يموتون بالتتابع ، وكانت امرأة هناك لديها ابن مريض ، يكاد أن يموت ،فجلبته إلى السيدة مريم ،التي رأته ، عندما كانت تغسل يسوع المسيح ، فقالت لها أن تأخذ قليلاً من الماء الذي غسلت به ابنها ، وترشه به. وبناءً على ذلك أخذت قليلاً من الماء ، مثلما أخبرتها السيدة مريم ، ورشته فوق ابنها الذي زال عنه المرض بعد ذلك[٦٧]. وتتحدث قصة مسيحية أخرى عن شاب كان قد اقترف أعمالا شنيعة ،ونتيجة لذلك جفت يداه(ربما شلت) كما يقول النص إلى درجة لم يعد قادرًا على وضعهما في فمه ، لذا يعرض حالته على الرسول توما الذي أمر بجلب ماء إليه في وعاء ،وعندها قال: اقبل أيها الماء من المياه الحية ،السرمدي أرسلها لنا من السرمدية ، وأرسل الراحة ألينا من الواحد الذي يعطي الراحة ، وقوة الخلاص الصادرة عن القوة التي تقهر الجميع ، وتخضع لإرادتها ، اقبل واسكن في هذه المياه ، حتى تتحقق أعطية الروح القدس تماما فيهم.وقال للشاب: اذهب واغسل يديك بهذه المياه ، وعندما غسلهما عادتا[٦٨].

لقد أصبح التعميد بالماء وسيلة للشفاء أيضاً، فطبقا لرواية مسيحية تتحدث عن مرض أصيب به الإمبراطور الروماني تيباريوس ، فتم تعميده من قبل الرسول ناثان فشفي من مرضه: "قدم ناثان وعمده باسم الأب والابن وروح القدس...وعلى الفور تعافى الإمبراطور تيباريوس من جميع أمراضه"[٦٩]. لدى العبريين اعتقاد بقدرة بعض الحيوانات على الشفاء ، فقد اعتقد العبريون بقدرة الأفعى على الشفاء ، إذ يقول في إحدى فقراته ان الرب أمر موسى بان يصنع حية من نحاس ويرفعها على سارية(شجرة)، فان كل إنسان يتعرض للسع الحية وينظر إلى حية النحاس فانه سيشفى[٧٠]. وهناك روايات تكشف كيف ان جسد يسوع المسيح ذاته قد أصبح رمزًا سحريًا للشفاء ، ففي الكثير من الروايات لاسيما تلك التي وردت في أناجيل الابوكريفا يمكن أن تعطينا تصورات خاصة عن ذلك. ففي رواية نقرأ أن مريم العذراء تلد ابنها السيد المسيح وتدخل القابلة سالومي عليها في الكهف الذي تلده فيه لتتأكد من الأمر لأنها لم تصدق بان العذراء تلد طفلاً لذا يحل عليها غضب الرب فتشل يدها ولم يكن أمامها إلا أن تصلي لكي يتم غفران ذنبها وبالتالي شفائها: "مضت القابلة إلى الداخل وقالت لمريم: اعدي نفسك ، لأن هناك خلافًا صغيرًا يتعلق بك (أي إنها تشك أن مريم عذراء)، وأدخلت سالومي إصبعها لتفحص وضعها ، فصرخت قائلة:الويل لشروري ، ولعدم تصديقي ، لأنني جربت الرب الحي ، وانظروا ، إن يدي سقطت وانفصلت عني ، واحترقت بالنار.وجثت على ركبتها أمام الرب قائلة: يا رب أبائي ، تذكرني ، لأنني من ذرية إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، ولا تجعلني وسيلة تشهير لبني إسرائيل ، بل أرجعني من أجل الفقير ،لأنك تعلم يا رب ، إنني باسمك مارست القيام بواجباتي ، وإنني منك تلقيت أجرتي. ونظرت وإذ بملاك الرب ظهر ، وقال لها:سالومي ، لقد سمع الرب دعائك اجلبي يدك إلى الطفل والمسيه ، والخلاص والسرور سوف يكون لك.واقتربت سالومي منه ولمسته قائلة: "إنني سوف أعبدك ، لأن الملك العظيم قد ولد لبني إسرائيل ، وشفيت سالومي حسبما طلبت"[٧١].

وفي نسخة ثانية من نفس الرواية تقول أن القابلة سالومي قد لمست أطراف القماش الذي كان ملفوفا فيه[٧٢]. وفي رواية أخرى نقرأ أن مريم وابنها يسوع قد دخلوا مرة إلى بلدة كان يجري فيها احتفال زواج ، ولكن نتيجة لتدخل الشيطان أصبحت العروس خرساء ، ولم يعد بإمكانها التفوه بكلمة واحدة ، ولكن مريم ذهبت إلى العروس ومعها أبنها الطفل يسوع ، فمدت الأخيرة يدها نحو السيد المسيح ، وجذبته نحوها ، وأخذته بين ذراعيها ، واحتضنته بقوة وقبلته ، وانحنت فوقه وحركت جسدها نحو الأمام ونحو الخلف ، وعلى الفور انحلت عقدة لسانها ، وانفتحت أذناها[٧٣]. ونقرأ في رواية مسيحية أن الإمبراطور الروماني تيباريوس قد أصابه مرض لذا اخذ في البحث بشكل جاد على قطعة قماش لامرأة تدعى فيرونيكا قيل إنها مسحت وجه المسيح ، وطبقا للأسطورة المسيحية انطبعت صورة وجهه على قطعة القماش ، وقد بحث أتباع الإمبراطور عن هذه القطعة حتى عثروا على فيرونيكا: "ثم إنهم بحثوا بتيقظ كبير للحصول على صورة الرب المسيح ، وقد وجدوا امرأة اسمها فيرونيكا لديها صورة الرب.ثم إن الإمبراطور تيباريوس قال لفيلوشيان: كيف حفظتها؟ فأجابه: لقد وضعتها في قطعة قماش ذهبي ، ولفتها في شال ، فقال الإمبراطور تيباريوس: اجلبها لي ، وانشرها أمام وجهي ، حتى أخر إلى الأرض ، واطوي ركبتي ، علني أتمكن من عبادتها على الأرض. ثم ان فيلوشيان نشر شاله مع قطعة القماش الذهبية التي عليها انطبعت صورة الرب ، ورآها الإمبراطور تيباريوس ، وعلى الفور تعبد صورة الرب بقلب صاف ، ونظف جسده(بها) وأصبح مثل جسد طفل صغير ، وتم شفاء جميع العميان والمجذومين ، والعرجان ، والبكم والصم ، والمصابين بمختلف أنواع الأمراض ،الذين كانوا موجودين هناك"[٧٤].

وقد عد الصليب في الديانة المسيحية سببًا في الشفاء ، فالمؤرخ السرياني البطريرك ميخائيل السرياني الكبير في تاريخه ينقل أن هيلانة أم الإمبراطور قسطنطين توجهت إلى القدس وتمكنت من العثور على ثلاث صلبان ، فلم تتمكن من تمييز الصليب الذي صلب عليه المسيح ، من الصلبان التي صلب عليها لصين ، فجاء الأسقف بامرأة تحتضر ، فوضع عليها صليبي اللصين فلم تتحرك ، ولما وضع الصليب العائد للسيد المسيح نهضت[٧٥].هذا وكانت لعظام القديسين المسيحيين والتراب المدفونين فيه دورًا شفائيا كما نقرأ في مصادرنا ، إذ نقرأ في رواية مسيحية عن ملك هندي يدعى ميسدايوس قد أصيب أحد أبناءه بمرض من قبل الشيطان ، وما من أحد أمكنه شفاءه ، وشرع الملك يفكر ويقول: "إنني سوف اذهب ، وافتح الضريح (الخاص

بالقديس توما) وأخذ واحدة من عظام رسول الرب وأعلقها على ابني ، وهو سوف يبرأ ، ولكن عندما كان ميسدايوس يفكر حول هذا ، ظهر له الرسول توما ، وقال له: إنك لم تؤمن بالإنسان الحي(السيد المسيح) ، فهل ستؤمن بالميت؟ ومع ذلك لا تخف ، لأن مولاي يسوع المسيح عنده رحمة نحوك ، وشفقة عليك من خلال صلاحه. وذهب(ميسدايوس) وفتح الضريح ، ولكنه لم يجد الرسول هناك ، لأن واحد من الأخوان كان قد سرقه وأخذه إلى بلاد الرافدين ، غير أن ميسدايوس أخذ بعض التراب من المكان الذي تمددت فيه عظام الرسول.. وعندما علق التراب على أبنه أصبح الغلام سليما"[٧٦].

وفي الديانة المسيحية كان للزيت دورًا مهما في تحقيق الشفاء ، إذ تقوم العقيدة المسيحية على مجموعة من مبادئ تعرف بالأسرار السبعة منها سر مسح المرضى ، وهو طقس كنسي يقوم أثناءه الكاهن بمسح المريض بزيت مقدس فيشفى المريض من أمراضه الروحية والجسدية[٧٧].

خاتمة:

إن الدراسة الأنفة الذكر تهدف بشكل رئيس إلى تبيان العلاقة الوثيقة بين السحر والطب في الحضارات القديمة ، ومن خلال دراستنا للوثائق اليهودية والمسيحية المبكرة يتضح منها ما يلي:

- لقد كان للسحر دور كبير في الشفاء ، ويبدو إن السبب في ذلك يكمن في اعتقاد الكثير من الأقدمين ومنهم العبريين القدامى إن مسببات المرض متعددة وتنسب بشكل رئيس إلى قوى ما فوق الطبيعة ، لذا لابد من مجابهتها بنفس الأسلوب من العلاج.
- لقد اختلفت طرق العلاج السحري بالنسبة للأقدمين ، وبلا شك كانت الصلاة جزء من هذا العلاج ، فالصلاة كما رأينا تمثل تواصل سحري بين المريض المذنب والله من أجل تخليص الأول من المرض.
- لقد كان للطبيب الساحر مكانة جيدة في المجتمع ، ومن ثَم نُظر إليه كانسان ذا قابليات خارقة تمكنه من التخلص من المرض لاسيما ذلك الذي يسببه الشياطين وقوى المرض الشريرة.
- لقد تنوعت الطقوس السحرية التي مورست من قبل السحرة ، وقد أمكن تمييز أربعة أنواع منها ، وبلا شك كانت طقوس قد مورست في فلسطين قديمًا حورت بشكل أو بأخر في الكتابات اليهودية والمسيحية لكي تتناسب مع التوجهات الدينية لاسيما بالنسبة للأخيرة.
- فضلاً عن الطقوس السحرية كانت هناك وسائل أخرى للعلاج عن طريق بعض النباتات السحرية ذات القابليات العلاجية التي قد توازي ما يقوم به الطبيب الساحر وان تفوقت عليها في بعض الأحيان ، أو بعض الأحجار التي اعتقد القدماء بقدسيتها ، والماء ذا القدرة على الشفاء بشكل فعال حتى تحول طقس التعميد إلى طقس شفائي أيضًا.

الهوامش:

(١) عاموس ، ٤: ١٠.
(٢) تكوين ، ٢٠: ١٨.
(٣) علي الشوك ، الأساطير بين المعتقدات القديمة والتوراة ، (لندن: دار اللام ، ١٩٨٧) ، ص ٢٢٧.
(٤) العدد ، ١٢: ١-١٠.
(٥) انظر النص الكامل للرواية في: الملوك الثاني ، ٦: ١٤-١٨.
(٦) أخبار الأيام الأول ، ٢١: ٧-١٤.
(٧) غيزا فيرم ، النصوص الكاملة لمخطوطات البحر الميت ، ترجمة: سهيل زكار ، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦) ، ص ٤٤٢.
(٨) المصدر نفسه ، ص ٥٤١.
(٩) احمد أيبش ، التلمود: كتاب اليهود المقدس ، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٦) ، ص ١٦٨.
(١٠) المصدر نفسه ، ص ١٧٠.
(١١) المصدر نفسه ، ص ١٩٢.
(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٦٧.
(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٢.
(١٤) مزامير ، ٧٨: ٥٠.
(١٥) بروس بارتون وآخرون ، التفسير التطبيقي للكتاب المقدس: ترجمة: شركة ماستر ميديا ، (القاهرة: مطبعة شركة ماستر ميديا ، ١٩٩٨) ، ص ١٩٨١.
(١٦) سامي سعيد الأحمد ، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ، (بغداد: مطبعة جامعة بغداد ، ١٩٧٠) ، ص ٥٤.
(١٧) أيوب ، ٢: ٧.
(١٨) فيرم ، النصوص الكاملة ، ص ٢٥١.
(١٩) الأحمد ، الأصول الأولى ، ص ٧٤.
(٢٠) متى ، ٩: ٣٢-٣٣.
(٢١) متى ، ١٢: ٤٣-٤٥ ؛ لوقا ، ١١: ٢٤-٢٦.
(٢٢) بارتون ، التفسير التطبيقي ، ص ١٩٩٦.
(٢٣) خروج ، ٩: ٨-١١.
(٢٤) إنجيل الطفولة لتوما ، ٥: ١-٢.
(٢٥) أعمال الرسول يوحنا: ٩.
(٢٦) رياض عبد الرحمن الدوري ، وعلي حسين فرج العامري ، "الساحرات في العراق القديم والتوراة والتلمود" ، مجلة سومر ، م: ٥٣ ، لسنة: ٢٠٠٥/٢٠٠٦ ، ص ١٦٢.
(٢٧) تكوين ، ٢٠: ١٤-١٧.
(٢٨) الملوك الثاني ، ٢٠: ١-٥ ؛ أخبار الأيام الثاني ، ٣٢: ٢٤ ؛ اشعيا ، ٣٨: ١-٤.
٢٩٠) محمد عمر حمادة ، تاريخ الصابئة المندائيين ، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٢) ، ص ٥٢.
(٣٠) العدد ، ١٦: ٤١-٤٨.
(٣١) الملوك الثاني ، ٥: ١١.
(٣٢) فيرم ، النصوص الكاملة ، ص ٥٠٣-٥٠٤ ؛ انظر أيضا: الشوك ، الأساطير ، ص ١٣٣-١٣٤.
(٣٣) متى ، ٤: ٢٣-٢٤.
(٣٤) مرقس ، ٥: ٢٥-٣٠ ؛ لوقا ، ٨: ٤٣-٤٦ ؛ إنجيل نيقاديموس ، ٧: ١.
(٣٥) إنجيل الطفولة العربي: ١٤.
(٣٦) بارتون وآخرون ، التفسير التطبيقي ، ص ١٩٨١.
(٣٧) مرقس ، ٣: ١٠.
(٣٨) متى ، ٨: ١-٣ ؛ مرقس ، ١: ٤٠ ؛ لوقا ، ٥: ١٢-١٣.
(٣٩) متى ، ٨: ١٤-١٥ ؛ مرقس ، ١: ٢٩-٣١.
(٤٠) متى ، ٩: ٢٧-٣٠ ؛ انظر رواية مشابهة في: متى ، ٢٠: ٢٩-٣٤ ؛ انظر كذلك رواية مشابهة في: إنجيل نيقاديموس ، ٦: ٢.
(٤١) مرقس ، ٧: ٣١-٣٥.

(٤٢) مرقس ،٨: ٢٢-٢٥.
(٤٣) لوقا ،١٣: ١٠-١٣.
(٤٤) إنجيل الطفولة لتوما ،١٠: ١-٢.
(٤٥) أعمال الرسل ،٣: ١-٨.
(٤٦) متى ،٩: ٢٠-٢٢.
(٤٧) إنجيل نيقاديموس ،٢٠: ١.
(٤٨) متى ،٨: ٥-١٣.
(٤٩) يوحنا ،٤: ٤٦-٥٣.
(٥٠) متى ،٩: ١-٧. ؛ مرقس ،٢: ٣-١٢ ؛لوقا ،٦: ٦-١٠ ؛انظر رواية مشابهة في: يوحنا ،٥: ٥- ٩ ؛ وكذلك انظر رواية أخرى في:إنجيل نيقاديموس ،٦: ١.
(٥١) مرقس ،٣: ١-٥.
(٥٢) مرقس ،١٠: ٤٦-٥٢ ؛لوقا ،١٨: ٣٥-٤٣.
(٥٣) بردية ايفرتون ،رقم:٢.
(٥٤) مخطوط برلين ،رقم:٨٥٠٢.
(٥٥) جوزيف كامبل ، البطل بألف وجه ، ترجمة: حسن صقر ، (دمشق: دار الكلمة ،٢٠٠٣)، ص١٢٨.
(٥٦) متى ،١٧: ١٤-١٨ ؛ مرقس ،٩: ١٤-٢٧ ؛ لوقا ،٩: ٣٧-٤٢.
(٥٧) مرقس ،١: ٢١-٢٦ ؛لوقا ،٤: ٣١-٣٥.
(٥٨) لوقا ،٤: ٣٨-٣٩.
٥٩) متى ،٨: ٢٨-٣٢ ؛ مرقس ،٥: ١-١٣ ؛ لوقا ،٨: ٢٦-٣٣.
(٦٠) سهيل زكار ، الأناجيل:النصوص الكاملة (تحرير)، (دمشق: دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠٨)، ص١٠٢.
(٦١) الشوك ، الأساطير ، ص٢٠٦ ؛ ناجح المعموري ، تأويل النص التوراتي: أسطورة نبات اللفاح وعقائد الانبعاث الكنعاني ، (بغداد: دار المدى للثقافة والنشر ،٢٠٠٨)، ص٢٩.
(٦٢) زكار ، الأناجيل ، ص١٠٢.
(٦٣) الأحمد ، الأصول الأولى ، ص١٠٣.
(٦٤) انظر النص الكامل للرواية في:الملوك الثاني ، ٥: ١-١٤.
(٦٥) يوحنا ،٥: ١-٤.
(٦٦) إنجيل الطفولة العربي ،:١٧.
(٦٧) إنجيل الطفولة العربي:٢٧.
(٦٨) أعمال القديس توما:٥١.
(٦٩) إنقاذ فينديكتا:٣٥.
(٧٠) العدد ،٢١: ٨-٩.
(٧١) إنجيل جيمس ،٢٠: ١-٤.
(٧٢) إنجيل متى المزيف:١٣.
(٧٣) إنجيل الطفولة العربي:١٥.
(٧٤) إنقاذ فينديكتا:٣٢-٣٣.
(٧٥) زكار ، الأناجيل ، ص٩٩.
(٧٦) أعمال القديس توما: ١٧٠.
(٧٧) أبو رحمة ، الإسلام والدين المصري الق محمد أبو رحمة ، الإسلام والدين المصري القديم: دراسة مقارنة بين الدين القديم والأديان السماوية ، (القاهرة: حابي للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥)، ص ١٠٠.

من مؤلفات الدكتور أسامة عدنان يحيى:

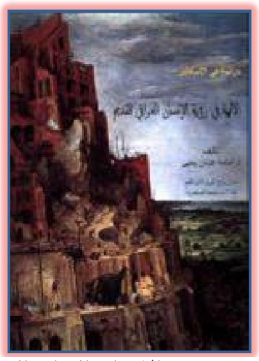

الآلهة في رؤية الإنسان العراق القديم
دار الصداقة للنشر الإلكتروني
فلسطين ٢٠١٠
عدد الصفحات (٢٩٦)

إن دراسة تاريخ الحضارة من الموضوعات المهمة التي طالما شغلت أذهان الباحثين في عصور مختلفة. وموضوع الحضارة نمط من الدراسة التي تحتاج إلى دقة وانتباه الباحثين لأنها تحتاج إلى إعادة تقييم حدث ما و تفسيره وفق منطلقات و أفكار كل شعب من الشعوب لاسيما القديمة منها التي لم نعد نعرفها إلا من خلال ما تركته لنا من مادة خام يعوزها التحليل و التفسير. إن دارس تاريخ الحضارة لابد له من أن يبحث في تراكمات الخبرات البشرية التي مضت ويحاول إعادة الحياة لها مجددًا فهو يعمل من اجل الحضارة فقط ، أي بتعبير أدق هو يدرس التاريخ للتاريخ . هذا و إن مكونات الحضارة متعددة و إن باحثي شؤون الحضارات يتناولون في دراساتهم كل ما يتعلق بالشؤون السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية للحضارات. ومن هذا المنطلق اختار الباحث دراسة جانب مهم من جوانب الحضارة القديمة في وادي الرافدين و هي دراسة الجانب الديني.

إن دراسة المعتقدات الدينية لدى أي شعب أو حضارة قديمة أو حديثة أو حتى معاصرة إحدى الأسس المهمة في كشف النقاب عن تنظيم تلك الحضارة. فالمعتقد الديني هو الذي ي سبر غور الحضارات و يوضح طبيعتها ومنهجها و سلوكها ولا نبالغ إن قلنا أن المعتقد الديني هو أساس الحضارة و جوهرها. ومن هنا ارتأى الباحث أن يتناول بحثًا هو: " الآلهة في رؤية الإنسان العراقي القديم: دراسة في الأساطير" ليكون بداية التوجه إلى معرفة خصائص الفكر السومري- البابلي و حيثياته. إن هذه الدراسة هي مجرد محاولة أولى للتوغل في أعماق الفكر البابلي لكشف تراث زاخر و مهم من اجل معرفة الكيفية و الطبيعة المنهجية التي يفكر فيها البابلي إزاء الخالق. تكمن أهمية الموضوع في كونه يدرس جانب مهم من جوانب العقيدة البابلية إلا وهو الخليقة والتنظيم الكوني و حكم الآلهة الذي عبر عنه البابلي بجملة ملاحم وأساطير. أي هو بتعبير آخر محاولة لتحليل أفكار السومريين و البابليين التي كانوا من خلالها يرون الخالق.